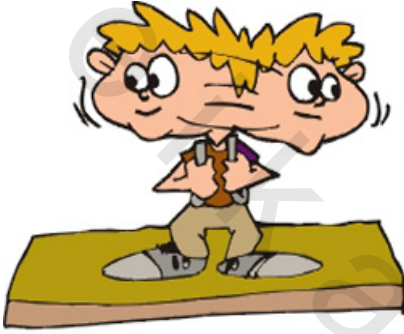


خامساً – موضوعات مرحلة المراهقة

التغيرات النفسية للمراهق (حلقة ٢،١)

لا خلاف على أن مرحلة ثانوي تمثل مرحلة شائكة في حياة الطالب والأسرة على السواء. ولا خلاف على أن منحني المشاكل يصل إلى أقصاه في فترة الثلاث سنوات التي يقضيها الطالب في المرحلة الثانوية.



والثابت أيضاً.. أن هذه المشاكل تتفاقم يوماً بعد يوم وتتعدد وتزيد ويفقد كل طرف الحيلة والوسيلة في التعامل مع الطرف الآخر، فلا الطالب قادر على التعامل مع الأسرة والمجتمع، ولا الأسرة والمجتمع وصلت إلى درجة فهم شخصية الطالب في هذه المرحلة...

ويسلم الجميع بأن المسألة لغز معقد يصعب حله ولا وسيلة معه إلا تجاهل الموقف بقدر الإمكان حتى تمر هذه المرحلة بسلام.. وتمر المرحلة بالفعل.. لكنها لا تمر بسلام..

فالتغيرات النفسية التي تحدث للطالب في هذه المرحلة والتي ينطبق عليها المصطلح الشهير (المراهقة) تشبه التغيرات التي يريد أن يحدثها عامل في قطعة حديد سائل لاستخدامه في غرض معين بعد صبه وتجمده، فإذا لم يفلح الصانع في تشكيل قطعة الحديد مع المهمة المعد لها فهل نعتبر أن عملية تشكيل قطعة الحديد مرت بنجاح.

أن الطالب يمر بانفعالات نفسية مختلفة وتغيرات جسمية عديدة، وإذا لم يتم التنبيه لطريقة التعامل معها سواء من جانب الطالب نفسه أو من جانب الوالدين أو الأسرة أو من جانب المجتمع نفسه في المدرسة أو الشارع.. يخرج إلى المجتمع شباب معبأ بمشاكل نفسية تقتل الطموح وتدعو للسلبية وتصيب بالفشل.

هدفنا الآن أن نعرف أنفسنا جيداً – ماذا يحدث لنا في هذه المرحلة، وكيف نتعامل مع أنفسنا بصورة جيدة؟ أما كيف يتعامل الآخرون معنا؟ فهو أمر خارج أيدينا الآن..

تعالوا نتعرف على أنفسنا..

ما هي المراهقة ؟

المراهقة لغوياً من فعل راهق أو اجتهد للوصول إلى هدف ما.

والتعريف العلمي للمراهقة: هي مرحلة تحدث في سن معين يبدأ من ١٢ عاماً للذكور، و١١ عاماً للإناث (في مصر) وتحدث فيها تغيرات جسمية ونفسية وعقلية بهدف الوصول إلى مرحلة النضج.

والمراهقة ليست مرضاً ولا شيئاً ينبغي أن نخجل منه، إنما هي مرحلة كأى مرحلة يمر بها الإنسان كمرحلة الطفولة بكل خصائصها، ومرحلة الشيخوخة بكل أعراضها.

إلا أن مرحلة المراهقة تعد الأخطر على الإطلاق في حياة المرء لأن فيها يقع التشكيل النهائي لنفسية المراهق وعقليته بصورة كبيرة جداً. وبنسبة كبيرة جداً.

إن مرحلة المراهقة تشبه من يتعلم قيادة دراجة، فهو في الأصل يسير على قدميه مستقراً، والتعلم بالنسبة له مرحلة انتقالية، وفيها لا يستطيع المتدرب أن يتزن على الدراجة وقد يقع أو يصاب أو يصيب ماراً أمامه، ومع التدريب المستمر يصل إلى مرحلة القيادة باتزان ثم القيادة بثقة وعقل وحكمة.

وفى مرحلة الطفولة تنطلق المشاعر عفوية دون المرور على المعادلات العقلية التي تزن الشعور وتسمح له بالمرور من عدمه.

فالطفل يغضب دون أن يفكر هل هذا الغضب في محله أم لا، ويفرح دون أن يعرف هل من المفروض أن يفرح في هذا الموقف أم لا.. أما في مرحلة المراهقة فالمطلوب أن تأخذ المشاعر جواز مرور من العقل أولاً، وللتدريب على ذلك يظل المراهق في فترة تدريبية طيلة ٧ سنوات أو أكثر حتى يستطيع أن يقود دراجته باتزان وحكمة، فلا يصاب ولا يصيب أحداً. وتسير الحياة بعدها بهدوء ونجاح.

ما هي الانفعالات التي يمر بها المراهق؟

سرعة الغضب:

الغضب في حد ذاته ليس خطأ، فالغضب مطلوب في مواقف كثيرة، فهل من المعقول ألا يغضب الإنسان إذا أهينت كرامته أو كرامة أبيه أو أمه أو أخيه أو أخته، ومن منا لا يغضب إذا ظلم أو رأي الظلم واضحاً جلياً أمام عينيه. والغضب مطلوب إذا رأينا حرمة من حرّمات الله تنتهك وفواحش ترتكب.

ليست المشكلة في الغضب إذن: إنما المشكلة في أمرين:

- الأمر الأول- انفلات مشاعر الغضب دون أن يمر الأمر على العقل فيقرر هل الأمر يستحق الغضب أم لا؟ وبأي درجة.
- الأمر الثاني- قدرتك على استغلال الغضب في إيذاء الآخرين بصورة كبيرة لما حدث لك من تغيرات جسمية ونفسية تمكنك من المشاجرات مع زملاء المدرسة وضرب

الإخوة في المنزل، وتكسير بعض الأدوات.

ومظاهر سرعة الغضب كثيرة... مثل:

- ١- العدوان على الآخرين، وكثرة المشاجرات بين طلاب ثانوي وربما بصورة يومية، وقد يصل الاعتداء إلى حد شج الرأس أو الضرب بسلاح قاتل كمطواة، وربما يكون العدوان من طالب على مدرس أو مدير مدرسة أو الإخوة في المنزل.
- ٢- كثرة الصياح والتهديد في المنزل للأب، وبالذات الأم، وارتفاع الصوت في المناقشات اليومية، والتهديد بترك المنزل أو عدم المذاكرة للرسوب في المدرسة.
- ٣- قد تمتد الرغبة في العدوان إلى أحلام اليقظة، فيتخيل المراهق أنه أمام مجموعة من الشباب الأقوياء، وقد دخل معهم في مشاجرة حامية ينتصر فيها بالقطع انتصاراً باهراً لا يقل شيئاً عن مشاهد العنف في السينما الأمريكية.
- ٤- عدم تحمل الخلاف في الرأي واعتباره إهانة، مما يثير الضغينة بين الأصدقاء، ويشل القدرة على التفكير السليم.

٢- القلق

ما هو القلق؟

- هو مركب انفعالي من الخوف المستمر مما يسبب تهديداً لكيان الفرد الجسدي والنفسي ويعوق أدائه أحياناً، وقد يكون القلق عادياً أو مرضياً.
- ويتعرض الطالب للقلق في مواقف شتى مثل:
 - القلق عند قرب الامتحانات.
 - القلق من سؤال المدرس له سؤالاً لا يعرف إجابته.
 - القلق من عدم الحصول على مجموع في الثانوية العامة.

والقلق نوعان:

الأول- قلق طبيعي ومطلوب.. وهو قلق محفز للعمل والنجاح والطالب الذي لا يقلق هذا النوع من القلق يطلق عليه لفظ مستهتر. فهو شخص لديه لا مبالاة بالأمر.

والثاني- قلق مرضي: وهو قلق يعوق الطالب عن الأداء بصورة تؤدي إلى النجاح فبعض الطلبة المتفوقين يفاجئوا الجميع بالحصول على مجاميع منخفضة في الثانوية العامة والسبب أن معدل القلق عندهم في فترة ما قبل الامتحانات وربما في الامتحان نفسه تزيد عن المعدلات المعقولة.. فيصاب بعدم التركيز وينسى المعلومات وبالتالي فقدان الدرجات.

وأعراض هذا القلق المرضى والذي يحتاج إلى تدخل طبي..

١- الشعور بالعصبية والتحفز.

٢- أعراض جسدية مثل خفقان القلب أو رعشة اليدين أو ضيق النفس أو برودة الأطراف أو اضطرابات المعدة وغير ذلك... وفي حالة خاصة قد يتكرر القلق من أشياء بعينها مرات ومرات بصورة تعوق الطالب عن التفكير في أي شيء إلا بانتهاء التفكير في هذا الأمر وهذا القلق ينشأ عن مرض معروف باسم الوسواس القهري وهو مرض يحتاج إلى تدخل الأطباء قطعاً.

وكما قلنا.. فإن النوع الأول من القلق مطلوب، وطبيعي وصحي ولا يبده إلا الثقة التي تكتسبها تدريجياً من إتمام العمل، فالطالب الذي يقلق من امتحان بعد يومين. فإن الثقة التي يكتسبها نتيجة مذكرته اليوم الأول تخفف كثيراً من حدة القلق ربما إلى النصف، وبمجرد انتهائه من المذاكرة يزول القلق إلا بالقدر الذي يجعله يضمن تركيزاً معقولاً أثناء الإجابة في الامتحان ما يتيح له استدعاء المعلومات بالسرعة المطلوبة.

الحب

الحب هو شعور ينبع من الارتباطات السارة وقضاء الحاجات والسلوك الحسن.

والحب أحد العواطف الجميلة التي دعا الإسلام إليها وأراد لها أن تنتشر في المجتمع.

وعاطفة الحب موجودة لدى الطفل، إما بصورة غريزية للأب والأم والإخوة أو بصورة سببية، نتيجة لموقف معين أدى إلى وجود عاطفة بين الطفل وشخص آخر مثل تقديم هدية أو المشاركة في لعبة.. إلخ.

وتظل عاطفة الحب هكذا إلى أن تبدأ مرحلة المراهقة، ويبدأ نوع جديد من الحب نتيجة للتغير الفسيولوجي الذي يحدث له وهو نمو الأعضاء التناسلية، فيبدأ الاتجاه بعاطفة الحب نحو الفتاة.. وهذا الحدث يعتبر أخطر حدث على الإطلاق في حياة المراهق أو طالب الثانوي، لأن الطالب لا يجيد التعامل مع هذه العاطفة مطلقاً، فلا يعرف حدودها، ولذلك يحدث الآتي:

١- يغرق الطلبة في مغامرات عاطفية عديدة مع الفتيات اللاتي يمررن بنفس المرحلة ويعانون من نفس المشكلة.

٢- المعاناة التي تحدث للطلبة نتيجة المشاكل العاطفية المترتبة على هذه العلاقة، وارتباك الأسر ارتباكاً شديداً نتيجة علمهم بهذه العلاقة.

٣- سقوط بعض الطلبة في مشاكل أخلاقية ومخالفات دينية صارخة بسبب هذه العلاقات ومنها ظاهرة الزواج العرفي في مدارس ثانوي وفي الجامعة.

- ٤- ابتعاد الطالب عن الدين.
٥- ضعف التركيز في الدراسة.
وقضية الحب في مرحلة الثانوي قضية كبيرة سنفرد لها موضوعاً خاصاً إن شاء الله.

الاكتئاب:

شعور ينتج عن كتمان الانفعالات وعدم القدرة على التعبير عن النفس، وهو يؤدي إلى عدم أداء الأعمال بالكفاءة المطلوبة.

بمعنى: أنه ربما يتهم الأب ابنه بالتقصير في المذاكرة مما أدى إلى حصوله على درجة سيئة في امتحان ما، والحقيقة أن الابن ذاكر المادة ولكنه لم يستطع أن يقوم بتحصيل القدر الكافي من المعلومات لأسباب منها ضعف قدرته الذهنية أو عدم تركيزه وسرعة نسيانه وانشغاله بأمر ما يؤرقه. هنا.. الابن لا يستطيع أن يدافع عن نفسه فيكتم انفعالاته.. فيصاب بالاكتئاب.

وعند الإفصاح عن هذه الأسباب لصديق أو للأب نفسه يزول الاكتئاب ويعود الاستقرار النفسي، ويبدأ وضع الحلول.

وكثيراً ما يصاب الطالب في هذه المرحلة بالاكتئاب، نتيجة لعدم فهم المجتمع له.. واتهامه باستمرار دون مراعاة ظروفه ودوافعه.

اليأس:

مرحلة متقدمة جداً من الاكتئاب.. وتسبب اللامبالاة والأرق وفقدان الشهية والإمساك.

وليس شرطاً أن يكون اليأس كلياً.. أي من الحياة نفسها، ولكن غالباً ما يكون جزئياً.. مثل اليأس من النجاح أو من التفوق أو من دخول قسم العلمي أو اليأس من إمكانية التعامل مع شخص معين.... إلخ.

كما سبق نستنتج أن هذه الانفعالات طبيعية، والمطلوب هو السيطرة عليها في حدود المواقف لا أكثر. وهى تحدث وحدث لكل البشر في هذه المرحلة للأسباب الآتية:

- ١- سرعة النمو.
- ٢- نمو الغريزة الجنسية.
- ٣- بقايا أفكار الطفولة.. مثل الإصرار على تلبية رغبة معينة دون التفكير في العواقب والعوائق (ملابس غالية - خروج ورحلات - دروس خصوصية لا تتحملها الأسرة).
- ٤- الأهواء النفسية مثل: حب الظهور، والإعجاب بالرأي.
- ٥- النمو العقلي: مما يترتب عليه تحليل التوجهات والأوامر والتفكير فيها وبالتالي عدم قبولها على ما هي عليه، والاعتراض عليها في الغالب.

مثل التفكير في طريقة تعامل والديه معه ومع إخوته، ويبدأ في ملاحظة هل الأدوار توزع بالتساوي بينهم أم أن الأب والأم يحاييان أحد إخوته على حسابه من ناحية أخرى؟ قد يرى الأب ينصحه بشيء لا يقوم به مثل شرب السجائر مثلاً، ويرى المجتمع نفسه يطالبه بأخلاقيات معينة عبر وسائل الإعلام، والمجتمع نفسه لا ينفذها.

عوامل تؤثر في انفعالات المراهق:

هناك عدة عوامل تغذى هذه الانفعالات وتزيد أو تقلل من حدوثها حسب شخصية المراهق والبيئة التي يعيش فيها وهي:

١- نقص كفاءة المراهق: فالمراهق خبرته في الحياة ضعيفة، سواء في أداء الأعمال المنزلية أو التعامل مع الكبار، ربما نتيجة لعدم تدريبه على ذلك منذ الصغر أو لقدراته المحدودة، أو لتمرد من الصغر على أبويه.. ما يزيد حجم الخطأ عنده في كل مهمة يكلف بها.. وبالتالي كثيراً ما يتعرض للوم.. مما يزيد من انفعالاته.

٢- الضغط الاجتماعي: كثيراً ما ينصح الكبار (مثل الأب والأم) نصائح ينظر الابن لها على أنها قيود غريبة تقيد حريته دون داعي، مثل اعتراض الآباء على الخروج من المنزل دون إذن، ودون تحديد المكان الذي سيذهب إليه، ومتى سيعود، أو اعتراض الأب والأم على صداقة بعض الأصدقاء السيئة السلوك.

٣- العلاقة بالجنس الآخر: وهي أخطر عامل يغذى هذه الانفعالات، فعند تمكن هذه العلاقة من المراهق يفقد عقله وتفكيره، وتشتعل لديه الرغبة في المظهرية، مما يؤدي إلى افتعال مشاجرات وزيادة أحلام اليقظة.

كيف يرفع المراهق النمو الانفعالي؟ (١)

تحدثنا في المرة السابقة عن الانفعالات لدى المراهق، وقلنا إن هذه الانفعالات طبيعية في معظمها وهي تمثل مرحلة انتقالية للتكوين النفسي لدى المراهق، من مرحلة الطفولة إلى مرحلة النضج والرجولة.

والمشكلة التي تحدث هي عدم قدرة المراهق على التعامل مع هذه الانفعالات بطريقة سليمة تخرج به إلى بر الأمان، دون مشاكل نفسية واجتماعية.

وسنوضح في هذه الكلمة - إن شاء الله -.. الوسائل التي ينبغي أن يعرفها الطالب حتى يرفع هذه الانفعالات ويوظفها بطريقة سليمة.

المرونة النفسية وعدم الاندفاع في الغضب:

ينشأ الاندفاع الشديد للغضب من عدم إمرار الأفكار على العقل أولاً ليحدد الأسلوب الأمثل للرد على المواقف.

بمعنى أنه إذا تعرض الطالب مثلاً أثناء نقاش مع والديه لرأي مخالف فإن الطالب يندفع برفع الصوت أو بالإشارة باليد إشارة غير لائقة أو التفوه بألفاظ لا يصح أن تقال للوالدين، في حين أن الابن لو تأنى قليلاً في التفكير لثوان معدودة خرج بصورة أفضل.

إن شحنة الغضب الزائدة داخل النفس من الممكن التخلص منها عن طريق بعض التدريبات النفسية، وهي التي ذكرها القرآن في سورة آل عمران ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، أي أنه إذا استطاع الطالب أن يكبت هذه الشحنة الزائدة عن طريق جهاد النفس وتجميع الإرادة في المواقف التي تحدث له وبخاصة في المنزل فسيجد، بمرور الوقت، أن لديه قدرة أكبر على التحكم في انفعال الغضب الزائد.

الطالب أيضاً لابد أن ينمي قدرته على تقبل الرأي الآخر والتفكير فيه بأسلوب منطقي دون تسرع واتهام الآخرين بالغباء والتحيز والظلم.. إلى آخره، كما إنه عليه أن يتدرب على أن يتنازل عن بعض آرائه التي هو مقتنع بها في سبيل أشياء أخرى أهم مثل الحفاظ على العلاقة بين الأفراد، وعدم إحداث مشاكل داخل الأسرة، ولكن هذه القاعدة ليست عامة، فليس المطلوب التنازل عن كل الآراء والمواقف ولكن التنازل عن بعضها فقط، إلا أن هناك أمورا مصيرية تحدد حياة الفرد لا يمكن للمرء أن يتنازل فيها أبداً.

هناك عوامل أساسية في مساعدة الإنسان في حفظ انفعالاته وهى:

١- العبادة: فارتفاع الحالة الإيمانية الناتجة عن ملء الفراغ الروحي والاتصال بينك وبين الله، يهدئ النفس ويجعلها مطمئنة فلا تستفز بسهولة، ولا تنفلت أعصابك دون إرادتك.

٢- التعليم الذاتي: هناك مفاهيم لابد أن يرددها الإنسان في نفسه باستمرار فإذا نسيها ذكر نفسه بها، مثل أحاديث الترغيب والترهيب الخاصة بأفات اللسان وكظم الغيظ، والجزاء في الجنة والعقاب في النار.

ويمكن ذلك عن طريق سماع شرائط العلماء الذين تحدثوا في مثل هذه الموضوعات.

٣- ضبط الغريزة الجنسية: يعد ظهور الغريزة الجنسية نقطة التحول الرئيسية في حياة المراهق كما تعد أخطر المشاكل في حياته للأسباب الآتية:

١- تشتت الفكر، حيث إنه تمت إضافة عامل آخر يلح عليه في التفكير بصورة لا يمكن تجاهلها، ويزيد من ذلك مصادر الإثارة المتعددة، في مجتمع غير متدين سواء في الشارع أو المدارس المشتركة أو في وسائل الإعلام المحلية والفضائية. ودخول مؤثر الجنس في مواجهة مع أي مجال من مجالات الحياة الأخرى مثل المذاكرة أو الصلاة أو قراءة القرآن أو حتى النوم يجعل المسألة محسومة لصالحه بنسبة ٩٠ ٪، مما يفقد الطالب تركيزه في المذاكرة وفي مجالات أخرى متعددة.

٢- الاضطراب النفسي: الذي يحدث لدى المراهق لمواجهة مشكلة تفريغ الشهوة الجنسية في المصرف الطبيعي والشرعي الذي وضعه الإسلام لتفريغ شهوة الجنس وهو الزواج. ولذلك دعا الإسلام إلى زواج الشباب في سن مناسبة، ودعا الأهل لتيسير الزواج وعدم وضع العوائق في المهور، إلا أن ظروف المجتمع في الوقت الحالي جعلت الشباب يصرف شهوته بنسبة لا تقل عن ٩٨ ٪ عن طريق العادة السرية، وهى وبغض النظر عن شرعية العادة السرية، إلا أنها تسبب قلقاً للمراهق سواء كان متديناً أو غير متدين:

أ- فالمتدين يشعر بالذنب لاعتقاده بحرمتها، كما أنه يشعر بعدم احترامه لنفسه.

ب- وغير المتدين يخشى أضرارها الصحية التي تشيع عند طلبة ثانوي من ضعف البصر وقلة التركيز وألم المفاصل والتأثير على القدرة الجنسية بعد الزواج. وكثيراً ما يفكر المراهق بل ويقرر الامتناع عن العادة السرية، حتى لا يعاوده هذا القلق مرة أخرى، إلا أنه غالباً ما يفشل نتيجة لضعفه أمام نفسه، وعدم القدرة على مقاومة المثيرات من حوله فيعود مرة أخرى إلى ممارسة العادة السرية ويعود معها التفكير والقلق.

٣- معظم طلبة ثانوي يندفعون بقوة نحو عالم الجنس الجديد الغريب لمحاولة اكتشاف شيء

غامض بالنسبة لهم، وغياب المصادر العلمية السليمة لطبيعة المجتمع الذي يخشى الحديث في هذه المسائل بدافع الحياء، والخوف من أن يطلع الأولاد على مثل هذه المسائل لأنهم صغار !!! فيضطر المراهق للبحث عن هذه المعلومات عن طريق الأصدقاء والكتب والمجلات والأفلام المشينة. وبعد أن يعرف هذا العالم بهذه الطريقة يكون قد وصل فعلاً إلى مرحلة انحراف يصعب التراجع عنها، فيبدأ البحث عن أماكن يبيع هذه الأفلام وأيضاً أماكن عرضها، وزاد من فرصتهم دخول هذه الأفلام التي يستقبلها أصحابها عن طريق الدش في عدد من المقاهي في أماكن مختلفة، والذي لم تصل جرائته إلى هذا الحد، يظل يبحث عنها في أفلام التلفزيون العارية، وتصبح هذه الأفلام هي نقطة حديث هامة عند تقابل الأصدقاء في اليوم الدراسي التالي، ويمكن القول إن الحديث عن الجنس يعد القاسم المشترك بين أي صديقين في مرحلة ثانوي بنسبة لا تقل عن ٩٨٪.

كيف ضبط الغريزة الجنسية

ربما لا يجد بعض المراهقين داعياً لأن يضبط غريزته الجنسية ويسيطر عليها، فهي من وجهة نظره متعة لماذا يحرم نفسه منها حتى وإن كانت تؤدي به إلى أعمال محرمة مثل النظر إلى ما حرم الله، أو إقامة علاقات عاطفية محرمة...، إلا أنه في الحقيقة من الخطورة ألا يفكر المرء في ضبط غريزته الجنسية، للأسباب الآتية:

١- عبادة الشهوة... بصورة تجعلها هدفاً في حد ذاتها، ويصبح الهدف الأساسي من الحياة هو امتلاك الشهوات وهي فكرة مدمرة للنفس والمجتمع مثل:

أ) العديد من الحرفيين الذين يعملون بكثافة في سبيل أن ينفقوا ما اكتسبوا من مال على سهرة محرمة، أو في تناول المخدرات، أو في ملهى ليلي.

ب) حسام أبو الفتوح رجل الأعمال الشهير أنفق ثلاثة أرباع ثروته على النساء، والنتيجة الإفلاس والفضيحة والسجن.

ج) أيمن السويدي الذي تزوج المطربة ذكرى بعقد عرقي والنهاية مذبحة راح ضحيتها معه مدير أعماله وزوجته ذكرى.

٢- الانحراف الأخلاقي الرهيب من صداقة سوء إلى مشاهدة الأفلام المخلة إلى العلاقات العاطفية المنحرفة إلى الزنا وفي بعض الأحيان القتل.

٣- الإصابة بالأمراض الخبيثة في حالة ارتكاب الفاحشة، مثل الزهري والسيلان والإيدز.

وضبط الغريزة الجنسية يحتاج إلي:

- ١- الخوف من الله. عن طريق الاتصال به والاقتراب منه بالصلاة وقراءة القرآن وكثرة العبادة.
- ٢- البعد عن أصدقاء السوء فهي المقدمة الأولى لهذه الغريزة ولكل الغرائز.
- ٣- غض البصر، وهو صعب ! نعم ولكنه ممكن إلى درجة كبيرة إذا أردت، فلا تتلفت في الشارع على النساء ولا على الفتيات، وحاول أن تتبعد عن التلفزيون بقدر الإمكان.
- ٤- زيادة الذكر، والإكثار منه، فلا مانع أن تقرأ الأذكار أثناء السير، وكذلك ما تحفظ من القرآن الكريم فهو حماية ووقاية.
- ٥- الانخراط مع مجموعة صالحة تساعدك على طاعة الله.
- ٦- الدعاء لنفسك بكثرة في الصلاة.

إقامة العلاقات العاطفية:

عاطفة (حب الفتيات) أيضاً عاطفة جديدة تقتحم حياة المراهق بصورة قوية ويبدأ في النظر للفتاة بنظرة مختلفة، وقد تكون هذه الفتاة جارته أو قريبته أو طالبة معه في نفس المدرسة أو في مدرسة مجاورة، ويبدأ المراهق بالإحساس بمشاعر تشعره بالسعادة ويعرف أنها تسمى بالحب.

والحب أيضاً قضية غامضة لدى الطالب، فهي قضية غير محسومة دينياً من وجهة نظره، وكموضوع عام لا يعرف حدوده وضوابطه وهل من الطبيعي أن يسمح لمشاعره أن تتفق بهذه الصورة، وأن يكمل العلاقة بينه وبين من يحبها، وما مصير هذه العلاقة فيما بعد.

وفي كثير من الأحيان تبدأ العلاقة العاطفية فعلاً وتتطور إلى الاتصالات التليفونية والمقابلات بعد المدرسة أحياناً أو في الدروس الخصوصية، وأحياناً تتطور العلاقة إلى المقابلة في أماكن خارجية.

ورغم وعود الفتى للفتاة بأن نهاية هذه العلاقة بالزواج، إلا أنها تمر بمخالفات شرعية كثيرة، وربما تنتهي بمأساة أخلاقية.

وفي الطريق تحدث العديد من المشاكل التي ترهق الطالب نفسياً وتشتت ذهنه، وتصرف تفكيره عن الأمور الجادة وتبعده عن الاقتراب من الله، لأنه بدأ الطريق بطريقة غير شرعية.

كيف يرمى المراهق النمو الانفعالي؟ (٢)

رعاية العقل

المعروف أن العقل هو المسئول عن عملية التفكير في الإنسان.. والمعروف أيضاً أن العقل هو القائد الذي يعطى الأوامر لكل أعضاء الجسم..

فحركات العين واليد والقدم واللسان.. تصدر بأوامر من العقل..

وأفكار الموضوعات وموضوعات الأفكار.. بتخطيط من العقل.

والقرارات الصعبة وأسلوب التصرف في المواقف المختلفة لابد أن تخرج بإمضاء من العقل..

والإيمان بالله.. وهو الشيء الذي خلقنا جميعاً من أجله..

لم نكن لنصل إليه.. إلا في وجود العقل..

وكتبه صريح في القرآن الكريم. ذكر الله ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ست عشرة مرة في الكتاب العزيز..

- ترى هل يرمى طالب ثانوي عقله ليجعله قادراً على التفكير النافع والتخطيط السليم. واتخاذ القرارات الصائبة..

- أم يجعله نهياً للأفكار الهدامة والموضوعات التافهة الرخيصة والقرارات الخائبة الفاشلة.

عن طالب ثانوي.. بين رعاية العقل.. وإهانة العقل..

دعونا نتحدث

*** رعاية العقل تعنى:** تغذيته بالأفكار الصحيحة التي تجعله قادراً على التفكير السليم واتخاذ القرارات الصائبة.. بناء على فهم لطبيعة الحياة والهدف منها..

وتحديد الهدف من الحياة هو الذي سيحدد بدوره نوع الرعاية.. فمن كان هدفه المتعة الزائلة، فسيغذى عقله بكل تافه رخيص ليس ذي قيمة.. ومن كان هدفه الفوز بجنة الله ورضوانه.. فسيغذى عقله بكل نافع مفيد، يرسم له الفوز العظيم.

والمشكلة أن طالب ثانوي الآن غير قادر على تحديد هدفه، فكانت النتيجة أن عقله يشحن بشحنات فاسدة من أفكار فاسدة ترسخ مع الزمن، وتصبح دستوراً للحياة مثل:

(١) ينبغي أن نتمتع بأوقاتنا دون تقيد بالحلل والحرام.

- ٢) إذا كان لابد من التدين فليكن في الكبر عند سن الخمسين مثلاً أما الآن فعلينا أن نصل إلى أقصى متعة ممكنة في شبابنا.
- ٣) التدين خاص بالمناسبات فقط مثل شهر رمضان أو يوم الجمعة، أما باقي الأيام فلا داعي للتدين.
- ٤) المصلحة هي التي تحكم الحياة وليس الحلال والحرام، والغاية تبرر الوسيلة ولذلك يلجأ الطالب إلى الغش في الامتحانات دون الشعور بأي حرج داخلي، ويرى أن هذا هو الطبيعي.
- ٥) العلم ليس له قيمة، وما هو إلا واجهة اجتماعية فقط.
- ٦) الرجولة تعني التمرد والسباق على الفتيات والقيام بالمغامرات في المدرسة وخارجها وفعل ما يخطئ فيه الكبار مثل شرب السجائر مثلاً.
- ٧) الحلم بأن يكون ممثلاً أو نجماً رياضياً مشهوراً وذا مال وسطوة.
- ٨) الجهل بأسماء الصحابة وسور القرآن ليس عيباً، والعيب في الجهل بأسماء المطربين والفنانين وعدم معرفة أحدث الأغاني.
- ٩) الدين ليس له دخل بالحياة، الدين ما هو إلا عبادة مسجدية.

مصادر التغذية الفاسدة للعقل:

١ - الإعلام السيئ:

- أ - الأفلام والمسلسلات الماجنة.
- ب - البرامج التافهة .
- ج - الجرائد الصفراء مثل النبا والأنباء وغيرها.
- د - المجلات الرخيصة مثل حريتي والشبكة ومزيكا.... إلخ.
- ٢ - صداقة السوء.
- ٣ - بعض أفكار الأسرة.

كيف ترعى عقلك رعاية إسلامية سليمة؟

أولاً - القراءة أو الاستماع في المجالات الآتية:

١ - الحد الأدنى في القراءات الدينية:

- أ - القرآن الكريم.
- ب - الفقه (فقه الصلاة - الصيام - الطهارة والنجاسة) فقه السنة للشيخ سيد سابق.
- ج - أجزاء من سيرة الرسول ﷺ (الروحانيات - شرائط عمرو خالد).

د - العقيدة (ماذا يعنى انتمائي للإسلام).

هـ - الأخلاقيات (السلوك الاجتماعي في الإسلام) شرائط وجدي غنيم.

قراءات عامة:

١ - الجرائد والمجلات التي تعطى كمأ معقولاً من المعلومات الهادفة والثقافة العامة
مثل:

أ - جريدة آفاق عربية تصدر يوم الخميس.

ب - جريدة الأسبوع تصدر يوم الاثنين (مع التحفظ على بعض المقالات أو الصفحات مثل صفحة الفن).

* ما سبق تمثل القاعدة الأساسية للثقافة الإسلامية الصحيحة بعدها يمكنك اختيار ما
تقرأ دون وقوع في خطأ الاختيار.

ونحن نرشح لك بعض الكتاب والعلماء الذين من المتوقع أن تتفاعل مع ما يكتبونه أو
يقولونه في الكتب وتستفيد منهم خير إفادة:

١ - دكتور يوسف القرضاوي.

٢ - مجدي الهلالي.

٣ - عمرو خالد (كتب وشرائط).

٤ - وجدي غنيم (شرائط).

كيف يرفع المراهق النمو الانفعالي؟ (٣)

تنمية المواهب

هناك خطأ كبير يرتكبه المجتمع والمدرسة والأسرة في حق طالب الثانوي، وربما يشاركونهم هذا الخطأ طالب الثانوي نفسه، هذا الخطأ هو: قتل المواهب.



إن الله لم يدع أحداً على وجه البسيطة إلا وأعطاها موهبة تميزه وتجعله فريداً بين أقرانه، ليس من أجل التباهي والتفاخر ولكن من أجل التفوق في مجالات إعمار الأرض، كالطب والهندسة والتعليم والرياضة... الخ

وهي المهمة التي كلف الله بها الإنسان أن يقوم بها على سطح الأرض، مهمة إعمار الأرض كإحدى الوسائل الرئيسية التي يتعبد بها الإنسان لله عز وجل، والفرق بين مجتمع متقدم كأمريكا وأوروبا وبعض دول شرق آسيا كاليابان وبين غيرهم، أنهم لا يقدرّون الموهبة فحسب بل إنهم يبحثون عنها بحثاً حثيثاً، في أطفالهم وشبابهم ونسائهم، فإن وجدوها استثمروها أفضل استثمار في بناء مجتمع يريد أن يصبح الأفضل في العالم، ويجد صاحب الموهبة نفسه محل اهتمام غير عادي ليس بسبب الإعجاب بموهبته ولكن بسبب رسالة واضحة، نحن نقدم لك الكثير في سبيل أن تقدم لنا أنت الكثير.

فإن لم يجدوا الموهبة في بلادهم لم يصيهم اليأس ويعدموا الحيلة فيلجئوا إلى استيراد المواهب.

دولة مثل أمريكا.. - قتلت الملايين من الهنود الحمر وسرقت أرضهم وأقاموا عليها دولتهم - بدءوا في اجتذاب العقول من جميع أنحاء العالم، وهاجرت عقول كثيرة من بلادها المختلفة لتجد المال والشهرة والاحترام والتقدير فإذا سألوهم لماذا كل هذا... قالوا.. لأنه موهوب..

الدكتور أحمد زويل ، والدكتور مجدي يعقوب وعشرات غيرهم.

عقول مصرية بجنسيات أمريكية. وفي مجتمعات كسولة... متواضعة الأحلام..

تنظر للموهبة على أنها مضيعة للوقت ومهلكة للمال، وعامل فشل دراسي مؤكد..

- فالمدرسة تنظر لرعاية المواهب على أنه درب من السذاجة.

- والأسرة تمنى ألا يكون للولد أي موهبة حتى يتفرغ لمذاكرته فقط.

- والمجتمع يرمى مواهب محددة.. الرقص والغناء والتمثيل وكرة القدم...!!
يرعاها ثم يفسدها ويفسدنا بها.

أما المواهب العلمية فتموت، والمواهب الأدبية تضعف، والقدرات الخاصة كالقيادة والخطابة، فتذهب أدراج الرياح.
ثم نسأل بعدها عن التقدم !!

أنواع الموهوبين

ليست الموهبة فقط في خط جميل أو رسم لوحة جذابة، أو لعبة رياضية، إنما الموهبة لها مجالات عديدة ومتنوعة تسع الجميع.. فعلى أن ندركها وليفكر كل طالب: يا ترى أي نوع من المواهب يحتضنه وكيف يمكن أن ينميه..

ما فائدة رعاية الموهبة ؟

أ - بالنسبة للطالب:

(١) استخدامها حتماً في إحدى مجالات الحياة؛ مثل التعليم إذا كانت الموهبة خاصة بالجانب المعرفي، أو التدريب الرياضي إذا كانت خاصة بالجمال الرياضي، أو تنمية العلاقات الاجتماعية إذا كانت خاصة بالجانب الوجداني، أو الابتكاري إذا كانت خاصة بالجانب الحدسي (الغيبي).

(٢) قد تكون الموهبة سبباً للرزق بعد التخرج مثل الخط أو التأليف أو الحرفية مثل التجارة أو السباكة أو الكهرباء.. إلخ، والكثير من الموهوبين غيروا مسار حياتهم، واختاروا طريق الموهبة بعد التخرج مثل: د. نبيل فاروق صاحب روايات رجل المستحيل، وقد كان طبيباً، والمؤلف أسامة أنور عكاشة غير مساره من مدرس إلى أشهر كاتب مسلسلات في مصر والعالم العربي.

(٣) كلما كان الشخص موهوباً كلما كان قادراً على خدمة نفسه وأسرته والناس، فإذا كان ذلك في سبيل الله.. فهو يخدم دينه لا شك.

(٤) الموهبة تزيد ثقة المرء بنفسه. وتشعره بالتميز بين زملائه، ولكن فليحذر الموهوب أن يصيبه الغرور فيتعالى على زملائه ويتكبر.

رعاية الإسلام للمواهب

رعاية النبي ﷺ للجوانب المعرفية والتخمينية للموهوب:

عن مصعب الأسلمي رضي الله عنه قال: (انطلق غلام منا فأتى النبي ﷺ فقال: إني أسألك سؤالاً: قال: ما هو: قال: أسألك ممن تشفع له يوم القيامة، قال: «من ذلك على هذا؟»

قال: ما أمرني به أحد إلا نفسي، قال: «فإنك ممن أشفع له يوم القيامة» رواه الطبراني.
في هذا الحديث نلاحظ:

١- سؤال الغلام يمثل جانباً معرفياً يعكس خاصية من خصائص الموهوب. وهى كثرة التساؤلات وحب الاستطلاع والطلاقة اللغوية

٢- اختيار موضوع السؤال عن أمر غيبي (الشفاعة يوم القيامة وهو أمر تخميني) وهى خاصية من خصائص الموهوب.

٣- مدى الثقة والطمأنينة واليسر التي تحدث بها الغلام مع النبي.

٤- البيئة التربوية النفسية التي دفعت الغلام للتداول مع النبي ﷺ (وهى بيئة نموذجية لرعاية الموهوب).

٥- استيعاب النبي للغلام وسعة صدره واستماعه له وهو أسلوب أمثل لرعاية الموهوب.

٦- ثقة الغلام بنفسه في إجابته للنبي ﷺ (شأن كل الموهوبين).

٧- مكافأة النبي ﷺ وتقديره للغلام (وهى إحدى وسائل رعاية الموهوب).

لقد أشاع النبي ﷺ مناخاً تربوياً أثر هذا النموذج من التحوار الذي يدل على موهبة الصبي وجوانب من عظمة رعاية النبي ﷺ للموهبة والتي تجلت أيضاً في قوله ﷺ (غرامة الصبي في صغره. زيادة في عقله في كبره) رواه الترمذي.

أي شدة حركة الصبي في الصغر علامة من علامات الموهبة في الكبر.

(المزيد في كتاب «كشف المواهب ورعايته» تأليف أ. مجدي محمد هلال توزيع المصرية للنشر والتوزيع)

التوفيق بين رعاية الموهبة والدراسة:

تنقسم حياة الطالب خلال السنة إلى ٩ أشهر هي عمر السنة الدراسية، و ٣ أشهر هي عمر الأجازة، وليس المطلوب أثناء السنة الدراسية رعاية الموهبة على حساب الدراسة، فالموهبة يجب أن تقف بجانب الدراسة جنباً إلى جنب لأنها جزء من كل تساعد وتعزى المجال الأكبر، إلى أن تنتهي الدراسة ويصبح الاختيار هنا ملك للشخص نفسه، والمطلوب تخصيص جزء من وقت الأسبوع لرعاية الموهبة في الدراسة.

وفى الأجازة سيزيد هذا الوقت بطبيعة الحال، بحيث يشعر الطالب أنه يضيف إلى موهبته شيئاً جديداً كل عام، وبعد سنوات الدراسة الطويلة يجد نفسه وقد تمكن من موهبته، ويحدد بعدها ما هي الطريقة السليمة التي يريد هو أن يستفيد بها من موهبته.

كيف يرفع المراهق النمو الانفعالي؟ (٤)

تربية النفس على الإيثار والتضحية

- كل مصائب البشرية سببها أن الإنسان يريد أن يأخذ ولا يعطي، يريد أن يكتز المال ويحقق الشهرة والمجد ويستحوذ على السلطة وإصدار الأوامر.. يريد أن يحقق كل ما يريد على حساب ما يريد الآخرون...

من هنا ينشأ الصراع بين البشر.

وبين طلبة ثانوي بعضهم وبعض.

وبينهم وبين أسرهم..

وكمثال: فإن مشاكل الأسرة التي تحدث بين المراهق والديه وإخوته - سببها أن الطالب يريد ويريد ويريد.. ودون أن يفكر في أحد..

يريد زيادة المصروف وشراء ملابس غالية والاشتراك مع زملائه في دروس خصوصية لكل المواد، والخروج في جميع الرحلات مهما كانت مكلفة..

يريد كل ذلك دون أن يفكر في أن دخل والده محدود، وأنه يفكر طيلة الشهر في كيفية إنفاق مرتب بسيط على أسرة كاملة في ظل غلاء فاحش لا يعرف الرحمة وليست له قاعدة.

لا يفكر في أن والده يحتاج إلى من يساعده فيخفف عنه الأعباء المادية الرهيبة، بعدم الطلب كثيراً والاقتصاد عند الطلب.

الطالب يريد دائماً أن يدخل من الباب فيجد أمه وإخوته في انتظار لحظة وصوله لتلبية أوامره.. أريد طعاماً وأريد كوباً من الشاي، أريد كي الملابس، لماذا لم ترتب الحجرة من الصباح.

إنه لا يفكر أنه يجب حتى عدم إشعار أمه أنها خادمة، وعدم إشعار إخوته أنهم خلقوا فقط من أجله.

لم يفكر أن أمه أيضاً تحتاج إلى من يريحها قليلاً من عناء العمل، تحتاج إلى أن تنام عدداً كافياً من الساعات دون قلق، لم يفكر أن إخوته لهم نفس ظروفه تقريباً، فلماذا يخدمونه هم ولا يخدمهم هو..

إن الأنانية تولد الحروب...

لذا عالج الإسلام هذه المشكلة.. بعلاج ذلك المرض النفسي بأن يهاجمه بمضاد حيوي قوي اسمه الإيثار والتضحية.

والإيثار أن تقدم غيرك على نفسك في شيء تحتاجه.
والتضحية أن تقدم خدمة الآخر على حساب نفسك أو راحتك أو قدرتك المادية.
وكلاهما له أجل الثواب وأعظم الأجر عند الله.

وعملياً نقترح البنود الآتية:

- ١- معرفة الدخل الفعلي للأب شهرياً. ومحاولة حصر متطلبات كل فرد من الطعام والتعليم والدواء وخلافه. لمعرفة مقدرة الأب الفعلية. وإمكانية تحقيق ما أطلبه من الأب.
 - ٢- الحفاظ على الملابس والأحذية حتى تكفى أطول فترة ممكنة في حالة جيدة.
 - ٣- الاجتهاد في الدراسة لتقليص عدد الدروس الخصوصية التي تحتاجها.
 - ٤- القيام بأعمال بسيطة تخفف عن الأم العبء قليلاً، مثل ترتيب الفراش، وعدم إلقاء القمامة في أي مكان بالحجرة، وعدم ذم الطعام.
 - ٥- عند دخول المنزل، اعلم أنك فرد من أفراد البيت لك حقوقك نعم، ولكن عليك واجبات أيضاً، وليس هناك أدنى مبرر لكي يخدمك إخوتك، حاول أن تشعرهم بإحساسك بهم، مثل أن تكلف نفسك بتقديم خدمة يومية لإخوتك أو للأب أو للأم مهما كانت هذه الخدمة بسيطة، مثل إعداد الشاي أو إحضار الإفطار أو غسل الأطباق، حاول أن تعمل وستجد النتيجة داخل الأسرة مذهلة.
- أعتقد أن مشاكل الأسرة ستختزل إلى النصف على الأقل، إذا كنت أنت مصدر المشاكل...

أما إذا كان غيرك مصدر المشاكل..

فانصحه بذلك..

- أخيراً..

العود على الإيثار والتضحية ليس بالأمر السهل.. إنه يحتاج إلى:

- ١- الإرادة.
- ٢- كثرة العبادة.
- ٣- الدعاء.
- ٤- مجاهدة النفس.
- ٥- وضع برنامج عملي.

كيف يرفع المراهق النمو الانفعالي؟ (٥)

الثقة بالنفس والفكاهة والمرح

أولاً - الثقة بالنفس

معنى الثقة بالنفس:

الثقة تعني الشعور بالقدرة على تنفيذ مهمة معينة.

بمعنى أن هناك طالباً قد يشعر بإمكانية تحقيقه درجة ٥٠/٤٥ مثلاً في مادة معينة دون قلق أو توتر... يقال إن هذا الشخص واثق من نفسه في مهمة أداء هذا الامتحان.

بينما طالب آخر يشعر بإمكانية حصوله على هذه الدرجة ولكن هذا الشعور مصحوب بقلق وتوتر ربما يعطلانه عن تحقيق الهدف المطلوب.

الشخص الأول لديه الإمكانية لإتمام العمل. ولديه الشعور بالاطمئنان لذلك.. يقال إن هذا الشخص واثق من نفسه (في هذا العمل).

الشخص الثاني.. لديه الإمكانية لإتمام العمل، ولكن ليس لديه الشعور بالاطمئنان لذلك، يقال إن هذا الشخص غير واثق من نفسه.

وبالطبع.. لو أن هناك شخصاً ليس لديه الإمكانية من الأساس، فمن أين يتوفر له الشعور بالاطمئنان لإتمام العمل.

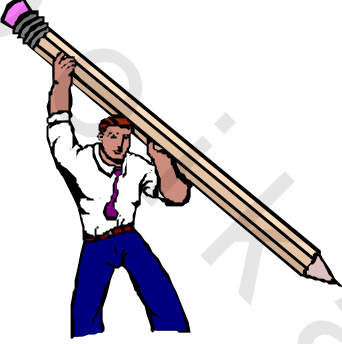
إذ الثقة هي شعور بالاطمئنان يضاف إلى القدرة التي يمتلكها الشخص أصلاً.

.. إذن.. من أين يأتي هذا الشعور بالاطمئنان..

فلنضرب مثلاً: نفرض أن طالباً يشعر بالخوف والقلق من امتحان في الرياضيات، ومصدر قلقه وتوتره أنه:

١- لا يعرف شكل الامتحان، وعدد الأسئلة.

٢- لا يستطيع تقدير سرعته في حل المسائل، ويخشى أن يمر الوقت دون الانتهاء من حل المسائل كاملة.



- ٣- لا يعرف من أي الأبواب ستأتي المسائل.
- ٤- لا يعرف الطريقة المثلى التي يكتب بها الحل في الامتحان.
- كل هذه المسائل تفقده الشعور بالاطمئنان..
- والحل أن نقول له: أكثر من حل امتحانات الرياضيات.
- ومع كثرة حل الامتحانات سيجد نفسه تدرب على حلول المسائل التي كان يعاني منها.. فعرف شكل الامتحان، وقدر سرعته في حل المسائل، وقسم المسائل على الأبواب واكتشف طرق الحل المثلى من مراجعة مدرسة أو من مراجعة الحل في نهاية الكتاب.
- وكلما زاد من حل الامتحانات.. كلما زاد اطمئنانه والوصول لهدفه وأصبح الامتحان المرتقب ما هو إلا نسخة (تقريباً) من امتحانات عديدة قام باجتياز عقبتها من قبل بنجاح، فقد اكتسب الثقة.
- إذن تنمية الثقة تأتي بالتدريب على إتمام المهمة.
- وكلما زادت مرات التدريب كلما زال القلق والتوتر واطمأن الشخص إلى نجاحه في المهمة مما يحميه من فقدان التركيز الناشئ عن التوتر أثناء تنفيذ المهمة.
- قس على ذلك أي شيء وأي مهمة وأي عمل، إذا أردت أن تنجح فيه وتكتسب الثقة فيه درب نفسك كثيراً عليه لتعرف كل ثغراته.
- و ربما يظلم الإنسان نفسه إذا حاول إنجاز مهمة دون التدريب عليها فربما يترتب عليها اقتناعه بأنه فاشل فلا يجرؤ على الدخول في مهمة أخرى وتكون النتيجة الفشل الذريع، أما بالتدريب فإن الإنسان قد وجد مفاتيح النجاح لأي مهمة فإذا به ينتقل من نجاح إلى نجاح...
- نموا ثقتكم بأنفسكم تحصلوا على النجاح في كل شيء.. وأي شيء...

ثانياً- الفكاكة والمرح

- يا ترى ما هو خيالك عن المسلم الملتزم.. ونحن هنا لا نتحدث عن الشكل من حيث الملابس والهئية.. ولكننا نتحدث عن أسلوبه في الكلام والمشي والوقوف والتواصل مع الآخرين في الحديث والتعامل.
- قد ترسم في ذهنك صورة شخص ملتحم مقضب الجبين حاد الملامح لا يتسم بمشي مشية عسكرية..
- قد يصور لك ذهنك المسلم الملتزم شخصاً هادئ الطباع مبتسماً دائماً يوافق الجميع على آرائهم ولا يجب أن يغضب أحداً، مستكيناً ضعيفاً سلبياً.

- وقد يراه آخر شخصاً زاهداً لا يهتمه من أمر الدنيا شيء إلا المسجد، يتعبد فيه ويقرأ القرآن، لا يحب الحديث مع غيره ويرى أن ذكر الله أولى وأنفع.

- الحقيقة أن فكرتنا الخاطئة عن الإسلام هي التي تصور لنا أن المسلم ينبغي أن يكون له قالب غير مقبول لدى العامة من الناس، وأن سمته لن يقبله إلا من هو مثله، والحقيقة أيضاً أن الإسلام دين في غاية البساطة لم يطلب أبداً أن يكون الطالب أو المسلم الملتزم مكفهر الوجه مقطب الجبين أو مستكيناً ضعيفاً سلبياً أو منعزلاً لا يختلط بالناس.

لقد طلب الإسلام شكل وأسلوب المسلم في التعامل:

- أن يكون جاداً في أفكاره نعم، لكنه لطيف رقيق في تعامله مع الناس.
- وقور محترم نعم، لكن هذا لا يمنع أن يكون خفيف الظل يحب المرح والضحك في أوقاته المطلوبة.

- قوى الشخصية فلا يضعف لنصائح أصدقائه المحرمة، وفي نفس الوقت ودود محب لهم يخدمهم كلما استطاع.

- له تطلعات وطموح ومتفوق علمياً نعم، لكنه أمام زملائه بسيط متواضع يشعرهم كأنه واحد منهم.

إن الإسلام لا يعارض الفكاهة والمرح، لأن المرح يخفف عن النفس آلامها ويجعلها تتقبل الأمور الصعبة ببساطة.

والشخص المرح قادر على التغلب على مشاكله أكثر من الشخص المهموم الحزين ولقد كان الرسول ﷺ خفيف الظل يداعب الصحابة بكلمات تضحكهم رغم أنه كان يحمل هم البشرية كلها.

وأرى أن الشخص المرح سيكون الأكثر نجاحاً والأكثر وصولاً لأهدافه ولكن بالشروط الآتية:

١- أن يميز بين المرح والاستهتار، فالمرح ليس معناه أن أطلق النكات على كل شيء وأي شيء وأحول كل موقف إلى ضحكة، فهذا هو الفشل بعينه، إنما المقصود من المرح أن تأخذ الأمور الجادة بروح مرحة مرنة تتقبل صدمات الحياة ومشاكلها.

٢- المرح والفكاهة له وقته، وهذا الخطأ يقع فيه العديد من طلبة الثانوي، فكثيراً ما يستخدم الطالب مزحة في وقت لا يجوز أبداً أن يكون فيه مرح أو فكاهة مثل درس علم وخصوصاً في مسجد أو موقف جاد حزين لصديق أو مشكلة كبيرة تتطلب كلاماً جاداً سريعاً.

- ٣- لا تمزح إذا لم يقبل من أمامك مزاحك، فالإسلام يحافظ على شعور الآخرين.
- ٤- الأدب والوقار حتى في الفكاهة، فليس من المرح أن تمسك بعصا وتجرى بها وراء زميلك في الشارع أو في المدرسة أو أن ترفع صوت في الشارع بالضحكات المنكرة، أو أن تقوم بعمل مقابل سخيقة في زملائك، فهذه مواقف يصنعها مهرجون لا يعرفون الوقار ولا الاحترام.

مقال: الرسول والممازحة

أسوة حسنة حتى في الممازحة:

جَمَّلَ الله حياتنا برسول الله ﷺ؛ فهو القدوة الحسنة والأسوة الطيبة، وهديه ﷺ خير هدي، وفعله ﷺ خير فعل، حتى في مزاحه ترك لنا أثره الطيب، نفتفيه ونقتدي به، وهنا يأتي السؤال: كيف كان هديه ﷺ في الممازحة؟ هل كان يضاحك ويمازح؟ هل كان يداعب ويلعب أو يتسم ويمازح؟

لقد كان ﷺ يربي بالضحكة، ويهذب بالابتسام، ويُقوِّم بالمزحة، ويدعو بالطرفة، فلضحكاته منافع، ولابتساماته مقاصد، ومن مزامحته عبر، ولطُرفه حِكَم وعظات.

فهذا علي رضي الله عنه حين دب خلاف بينه وبين فاطمة -رضي الله عنهما- يصلحه النبي ﷺ بالمزاح، يحكي لنا سهل بن سعد قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد عليا في البيت، فقال: أين ابن عمك؟ قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني، فخرج فلم يقل (وقت القيلولة) عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسان: انظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول الله، هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: «قم أبا تراب، قم أبا تراب»^(١). فكان أبو تراب أحب الألفاظ إلى علي رضي الله عنه.

وهذا أسيد بن حضير يمازحه رسول الله ﷺ وهو يُحدِّث القوم ويضحكهم فيطعنه رسول الله ﷺ بأصبعه في خاصرته، فقال: أوجعتني، فقال: أصبرني^(٢). قال: اصطبر، قال: إن عليك قميصا وليس علي قميص، فرفع النبي ﷺ عن قميصه فاحتضنه وجعل يقبل كشحته^(٣). قال: إنما أردت هذا يا رسول الله^(٤).

وعن عبد الحميد بن صيفي من ولد صهيب عن أبيه عن جده صهيب قال: قدمت على رسول الله ﷺ بالهجرة وهو يأكل تمرا، فأقبلت أكل من التمر وبعيني رمد فقال: «أنا أكل التمر وبك رمد؟» فقلت: إنما أكل على شقي الصحيح ليس به رمد، قال: فضحك رسول الله ﷺ^(٥).

(١) متفق عليه، رواه البخاري في الصلاة رقم (٤٤١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٩).

(٢) مَكْنَى من القصاص.

(٣) ما بين الخاصرة إلى الضلع الأقصر من أضلاع الجنب.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

ولما علم عوف بن مالك الأشجعي أن رسول الله ﷺ لا يأنف من المزاح، ولا يغضب منه، بدأ رسول الله ﷺ بالمزاح، يقول عوف: أتيت رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم، فسلمت، فردّ وقال: أدخل". فقلت: أكلّي يا رسول الله؟ قال: "كلك"، فدخلت^(١). وإنما مزح عوف بن مالك بقوله: أكلّي يا رسول الله؟ لأن القبة كانت صغيرة.

ولما رأى النبي رجلا ذا بشرة حمراء مازحه قائلا: «أنت أبو الورد»، يقول أبو الورد قال: رأني رسول الله ﷺ، فرآني رجلا أحمر، فقال: أنت أبو الورد^(٢).

ومنهم رجل اسمه زاهر، يقول أنس رضي الله عنه: إن رجلا من أهل البادية يقال له زاهر بن حرام، كان يهدي إلى النبي ﷺ الهدية فيجهزه رسول الله ﷺ إن أراد أن يخرج، فقال رسول الله ﷺ: إن زاهرا باديتنا ونحن حاضروه، قال: فأناه النبي ﷺ وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه والرجل لا يبصره، فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت إليه فلما عرف أنه النبي ﷺ جعل يلزق ظهره ب صدره، فقال رسول الله ﷺ: «من يشتري هذا العبد؟» فقال زاهر: تجدني يا رسول الله كاسدا، قال: «لكنك عند الله لست بكاسد»، أو قال ﷺ: «أنت عند الله غال»^(٣).

المصطفى يمازح النساء والأطفال:

وكما رأيناه ﷺ يمازح الرجال رأيناه يمازح النساء، وهذا من باب اهتمامه ورفقه بهن ﷺ. انظر إليه ﷺ وهو يلطف عائشة - رضي الله عنها - ويمازحها، وهو يسابقها مرتين فتسبقه في الأولى ويسبقها في الثانية، فيقول لها: هذه بتلك، والحديث عن عائشة قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم، فقال للناس: «تقدموا»، فتقدموا، ثم قال لي: «تعالني حتى أسابقك»، فسابقته فسبقته، فسكت عني إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت؛ خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: «تقدموا»، فتقدموا، ثم قال: «تعالني حتى أسابقك»، فسابقته فسبقتني، فجعل يضحك وهو يقول: «هذه بتلك»^(٤).

وانظر إليه وهو يمكنها من النظر إلى أهل الحبشة يلعبون بحرابهم، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد ورسول الله ﷺ يسترني بردائه لأنظر إلى لعبهم بين كتفه اليسرى وعينه،

(١) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٠٠)، وذكره الألباني في صحيح أبي داود (٤١٨١).

(٢) رواه الطبراني في الكبير، وقال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه جبارة بن المغلس، وثقه ابن عمير ونسبه غير واحد إلى الكذب (٥٦ / ٨).

(٣) رواه أحمد وابن حبان، وصححه الألباني في الشرائع المحمدية (٢٠٤).

(٤) رواه أحمد (٢٤١١٩، ٢٤١١٨) وقال محققو المسند: إسناده صحيح، ورواه أبو داود (٢٥٧٨)، وابن ماجه (٢٠١٠) عن عائشة، وصححه الألباني في إرواء الغليل برقم (١٥٠٢).

ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو" (١).

ومن مداعبته ﷺ مع النساء، ما حكّت عائشة -رضي الله عنها- أن نبي الله ﷺ أتته عجوز من الأنصار، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال نبي الله ﷺ: «إن الجنة لا يدخلها عجوز» فذهب نبي الله ﷺ فصلى ثم رجع إلى عائشة فقالت عائشة: لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة، فقال نبي الله ﷺ: «إن ذلك كذلك؛ إن الله إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكاراً» (٢).

وتأتيه أخرى فتقول: يا رسول الله، إن زوجي يدعوك، فيقول: ومن هو؟ «أهو الذي بعينه بياض؟» قالت: والله ما بعينه بياض، فقال ﷺ: «بلى إن بعينه بياضاً»، فقالت: لا والله، فقال: «ما من أحد إلا بعينه بياض» (٣).

وما كانت مداعبته ﷺ ولا مزاحه للكبار دون الصغار، إنما هو للصغير كما هو للكبير، وللنساء كما هو للرجال. يقول أنس رضي الله عنه: إن كان رسول الله ﷺ ليخالطنا حتى إن كان ليقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير، ما فعل النغير" (٤) ويداعب أنسا رضي الله عنه ويقول له: «يا ذا الأذنين» (٥).

ويرسل النبي ﷺ أنسا رضي الله عنه يوماً.. ولنترك أنسا رضي الله عنه يقص علينا الخبر: يقول أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفائي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك. فقال: يا أنيس، ذهبت حيث أمرتك؟ قال: قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله ﷺ (٦).

(١) متفق عليه - رواه البخاري في العيدين (٤٩٣٨)، ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٢).

(٢) رواه الترمذي في الشمائل وعبد بن حميد وغيرهم، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط، وذكره الألباني في غاية المرام برقم (٣٧٥).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا، وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء: أخرجه الزبير بن بكار في كتاب ألفكاهة، ورواه ابن الدنيا من حديث عبدة بن سهم مع اختلاف.

(٤) رواه البخاري في الأدب برقم (٦١٢٩)، ومسلم في الآداب رقم (٣١٥٠).

(٥) رواه الترمذي وأبو داود، وذكره الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٩٠٩).

(٦) رواه مسلم في الفضائل رقم (٢٣١٠).

ويُخرج لسانه للحسن والحسين صغاراً مداعبا إياهما رضي الله عنهما، ويطأ ظهره لولديه الحسن والحسين ليركبا، ويدخل عليه أحد أصحابه فيقول: «نعم المركب ركبتما، فيقول: ونعم الفارسان هما»^(١).

وفي رواية عند الطبراني: عن أبي هريرة قال: سمعت أذناي هاتان، وأبصرت عيناي هاتان رسول الله ﷺ وهو آخذ بكفيه جميعاً، حسناً أو حسينا، وقدماه على قدمي رسول الله ﷺ، وهو يقول: «حُزْفَةُ حُزْفَةُ أَرَقَّ عَيْنَ بَقَّةٍ» فيرقى الغلام حتى يضع قدمه على صدر رسول الله ﷺ، ثم قال له: «افتح فاك»، قال: ثم قبله، ثم قال: «اللهم أحبه، فإني أحبه»^(٢).

وتأمل حاله ﷺ وهو يرى الحسن يصارع الحسين، فيجلس ويشاهد ويشجع.. عن جابر عن أبي جعفر قال: اصطرع الحسن والحسين، فقال رسول الله ﷺ: هو حسين، فقالت فاطمة: كأنه أحب إليك؟ قال: «لا، ولكن جبريل يقول هو حسين»^(٣).

وهذا عبد الله بن الحارث يقص علينا مشهداً عجيباً فيقول: كان رسول الله ﷺ يصف عبد الله وعبيد الله، وكثيراً بني العباس ثم يقول: «من سبق إليّ فله كذا وكذا»، قال: فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم»^(٤).

وها هو ﷺ يمازح يتيمة كانت عند أم سلمة، لكنها لا تفهم مقصوده ﷺ فتحزن، ومن ذلك حديث أنس بن مالك قال: كانت عند أم سليم -وهي أم أنس- يتيمة، فرأى رسول الله ﷺ اليتيمة، فقال: أنت هيه؟ «لقد كبرت لا كبر سنك»، فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي، فقالت أم سليم: ما لك يا بنية؟ قالت الجارية: دعا عليّ نبي الله ﷺ أن لا يكبر سني أبداً، أو قالت: قرني، فخرجت أم سليم متعجلة تلوث خمارها حتى لقيت رسول الله ﷺ، فقال لها رسول الله ﷺ: ما لك يا أم سليم؟ فقالت: يا نبي الله، أدعوت على يتيمتي؟ قال: وما ذاك يا أم سليم؟ قالت: زعمت أنك دعوت أن لا تكبر سنّها، أو أن لا يكبر قرنّها، قال: فضحك رسول الله ﷺ، ثم قال: «يا أم سليم، أما تعلمين شرطي على ربي؟ إني اشتريت على ربي فقلت: إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأما دعوت عليه من أمّي بدعوة ليس لها بأهل، أن يجعلها طهوراً وزكاة وقرية يقرّبها بها يوم القيامة»^(٥).

(١) رواه الحاكم (١٧٠/٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: لا. وأخرجه أبو يعلى عن ابن عمر. وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى في الكبير، ورجاله رجال الصحيح. ورواه البزار بسند ضعيف (١٨١/٩).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٤٩/٣). قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه أبو مزرد ولم أجد من وثقه، وبقيّة رجاله رجال الصحيح (١٧٦/٩). وذكره الألباني في ضعيف الأدب (٤٠).

(٣) رواه ابن أبي شيبه في مصنفه (٣٠٨/٦).

(٤) رواه مسلم في البر والصلة، رقم (٢٦٠٣).

(٥) رواه مسلم، كتاب البر والصلة.

منهج نبوي في المزاح

إن العبادة الدائمة أو الذكر المتواصل أمل تهفو إليه النفوس الكبار، وتحوم حوله همم العظام، بيد أن النفس البشرية جبلت على الملل إن استمرت على أمر ثابت أو عمل متواصل، حتى ولو كان عبادة الله عز وجل، وفي الحديث: «خذوا من العمل ما تطيقون؛ فإن الله لا يمل حتى^(١) تمملوا»^(٢).

والتأمل للأحاديث السابقة والمواقف المتقدمة يدرك هدي النبي ﷺ في المداعبة والمزاح والترويح عن النفس حتى لا تمل، وقد بينها النبي ﷺ صراحة للصديق رضي الله عنه حين دخل الصديق يوم العيد فوجد جاريتين تغنيان في بيت النبي ﷺ فانتهرهما، فقال ﷺ: «دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام العيد»^(٣). وفي رواية: «حتى يعلم يهود أن في ديننا فسحة»^(٤).

والذي يظهر من هذا كله: أن المزاح ليس محرماً شرعاً، ولا ممنوعاً عرفاً، وكذلك الضحك؛ إنما الممنوع الإكثار الذي تضيع معه الحقوق، ويُخرج به من الصدق إلى الكذب، والله در أنس حين وصف النبي ﷺ فقال: «كان رسول الله من أفكه الناس»^(٥).

ولذا قال ﷺ: «لا تكثر من الضحك» فقد منع من الإكثار، ولم يمنع أصل الضحك؛ بل هو في حديث أبي ذر المتقدم قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»، فهو ﷺ لم يمنع الضحك، إنما دعا إلى التقليل منه.

لم يكن رسول الله ﷺ خارجاً عن الفطر السوية في فعل من أفعاله، أو قول من أقواله، ولقد صدق الأعرابي حين سئل عن سبب إيمانه بمحمد ﷺ فقال: ما أمر بشيء واستقبحه العقل، ولا نهى عن شيء واستحسنه العقل.

ويحاول البعض أن يمنع الضحك بحجة هموم الدعوة، وهم الدين، بيد أن هذه حجة واهية، فلم يكن هناك، ولن يكون، من هو أكثر اهتماماً بالدعوة من رسول الله ﷺ، وليس هناك من تعددت لديه الواجبات كما تعددت لدى رسول الله ﷺ، فلقد كان -بأبي هو وأمي- إماماً للناس، ومعلماً للخلق، ومفقه للدين، وحاكماً بين الناس، وقاضياً بينهم، ومجيشاً للجيوش، وباعثاً للسرايا، كما كان أبا رحيماً، وزوجاً باراً، وأخاً ودوداً، وصديقاً وفياً، ومع هذا كله فقد كان ﷺ ضحاكاً بساماً، وتؤكد ذلك السيدة عائشة فتقول حين

(١) حتى هنا بمعنى الواو أي (وتملوا).

(٢) رواه البخاري في الصوم رقم (١٩٧٠)، ورواه مسلم في صلاة المسافرين رقم (٧٨٥)، وهذا لفظ البخاري.

(٣) رواه البخاري في العيدين رقم (٩٤٩)، ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٢).

(٤) رواه أحمد (٢٤٨٥٥، ٢٥٩٦٢) عن عائشة، وقال محققو المسند: حديث قوي، وهذا سند حسن.

(٥) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٦٣/٦)، وفي المعجم الصغير (١١٢/٢) من حديث أنس بن مالك، وذكره الألباني في ضعيف الجامع (٤٤٨٨).

سألتها عمرة قالت: سألت عائشة كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في البيت؟ قالت: ألين الناس، بساما ضحاکا^(١).

وفي رواية عند الترمذي في العلل: عن عائشة أنها سئلت كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته؟ فقالت: كان ألين الناس وأكرم الناس، كان رجلا من رجالكم، إلا أنه كان ضحاکا بسامًا. ويقول أبو أمامة: "كان رسول الله ﷺ من أضحك الناس، وأطيبهم نفسا"^(٢).

وقد يظهر التعارض بين الأحاديث فيزيله قول الإمام السيوطي: "كان من أضحك الناس" لا ينفيه خبر أنه كان لا يضحك إلا تبسما؛ لأن التبسم كان أغلب أحواله، فمن أخبر به أخبر عن أكثر أحواله، ولم يعرج على ذلك لندوره، أو كل راو روى بحسب ما شاهد، فالاختلاف باختلاف المواطن والأزمان، وقد يكون في ابتداء أمره كان يضحك حتى تبدو نواجذه، وكان أخرى لا يضحك إلا تبسما^(٣).

بل لقد كانت بعض المواقف تأخذ من رسول الله ﷺ كل المآخذ حتى يضحك ويستعلي به الضحك -ولكن ذلك على سبيل الندرة- فعن أبي أمامة قال: إن رسول الله ﷺ قال يوما لأصحابه: «هل أصبح أحد منكم اليوم صائما؟» فسكتوا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا يا رسول الله، ثم قال: «هل عاد أحد منكم اليوم مريضا؟» فسكتوا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا يا رسول الله، ثم قال: «هل تصدق أحد منكم اليوم صدقة؟» فسكتوا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا يا رسول الله؟ فضحك رسول الله ﷺ حتى استعلي به الضحك، ثم قال: «والذي نفسي بيده، ما جمعهن في يوم واحد إلا مؤمن، وإلا دخل بهن الجنة»^(٤).

ولربما ضحك ﷺ من حدث عامًا كاملا؛ فعن أم سلمة أن أبا بكر خرج تاجرًا إلى بصرى ومعه نعيمان وسويبط بن حرملة وكلاهما بدرى، وكان سويبط على الزاد، فجاءه نعيمان فقال: أطعمني، فقال: لا حتى يأتي أبو بكر، وكان نعيمان رجلا مضحكا مزاحا، فقال: لأغيظنك، فذهب إلى أناس جلبوا ظهرا^(٥)، فقال: ابتاعوا^(٦) مني غلاما عربيا فارها، وهو ذو لسان، ولعله يقول: أنا حر، فإن كنتم تاركه لذلك فدعوني لا تفسدوا علي غلامي، فقالوا: بل نبتاعه منك بعشر قلائص^(٧)، فأقبل بها يسوقها، وأقبل بالقوم حتى عقلها، ثم قال للقوم: دونكم هو هذا.

(١) رواه إسحاق بن راهويه. وذكره الألباني في ضعيف الجامع (٤٣٨٦).

(٢) رواه الطبراني، وذكره الألباني في ضعيف الجامع (٤٤٨٧).

(٣) الجامع الصغير، السيوطي، ط دار طائر العلم، جدة، ص ٢٣٥.

(٤) رواه البيهقي في الكبرى والطبراني في الكبير. وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير، وفيه عبيد الله بن زحر وفيه كلام، وقد وثق (٣/ ١٦٣).

(٥) إبلا عليها متاع.

(٦) تشتروا.

(٧) القلوص من الإبل: الشابة، أو الباقية على السير.

فجاء القوم فقالوا: قد اشتريناك، قال سويبط: هو كاذب، أنا رجل حر. فقالوا: قد أخبرنا خبرك، وطرحوا الحبل في رقبته فذهبوا به، فجاء أبو بكر فأخبر، فذهب هو وأصحاب له فردوا القلائص وأخذوه، فضحك منها النبي ﷺ وأصحابه حولاً^(١).

بيد أن هذا لم يكن هو الحال الدائم أو الصفة الملازمة، وهذا ما يؤكد حديث جابر حيث قال: كان لا ينبعث في الضحك^(٢). وكان لا ينبعث في الضحك أي لا يسترسل فيه.

ولله در صاحب كتاب "تأويل مختلف الحديث" حين قال: "فلو ترك رسول الله ﷺ طريق الطلاق والهشاشة والدماثة إلى القطوب والعبوس والزماتة أخذ الناس أنفسهم بذلك على ما في مخالفة الغريزة من المشقة والعناء، فمزح ﷺ ليمزحوا، ووقف على أصحاب الدركلة^(٣) وهم يلعبون فقال: "خذوا يا بني أرفدة؛ ليعلم اليهود أن في ديننا فسحة"^(٤). يريد ما يكون في العرسات لإعلان النكاح، وفي المآدب لإظهار السرور.

وقد درج الصالحون والأخيار على أخلاق رسول الله ﷺ في التبسّم والطلاق والمزاح بالكلام المجانب للقدح والشتم والكذب، فكان علي رضي الله عنه يكثر الدعابة.

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢/ ٢٤٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٥٦)، وذكره الألباني في ضعيف الجامع رقم (٤٥٠٩).

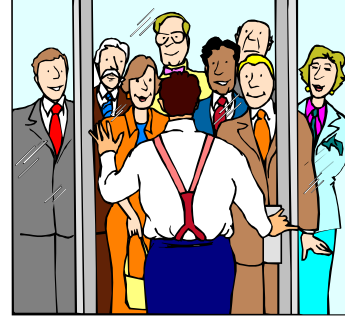
(٣) الدركلة بكسر الدال والكاف لعبة للعجم، وضرب من الرقص أيضاً.

(٤) سبق تخريجه.

الطريق الخاطئ.. قصة قصيرة

«نعم أنا معترف بأنني اعتديت على زميلي "عادل" بالضرب المبرح».

قالها "محمود" باستسلام غريب ، وحزن دفين ، مما أثار دهشة كل من حوله - مدير المدرسة الثانوية وثلاثة من مدرسي المدرسة - اجتمعوا في حجرة المدير. من أجل التحقيق مع "محمود" بتهمة أنه تعدى على زميله "عادل" بضرب مبرح حتى أغشي عليه وتم نقله بعدها إلى المستشفى بسبب شج في رأسه عالجها الطبيب بخمس غرز



كاملة.

ولم ير أحد - لا المدرسين ولا المدير - (محمود) في هذه الحالة من قبل أبداً فهم يعرفونه جيداً ليس لأن (محمود) طالب متفوق ، كثيراً ما يحصل الجوائز في أرض الطابور ، أو لأنه طالب اجتماعي ونشيط دائم التنقل بين المدرسين ، ولكنهم يعرفونه لسبب آخر مختلف تماماً. لأنه لا يكاد يمر أسبوع واحد إلا ويجد المدير نفسه أمام مشهد معروف: مدرس يقتاد (محمود) بعنف إلى حجرته ليجد حلاً لهذا الشيء الذي ضل طريقه يوماً إلى ساحات الملاكمة ليجد نفسه فجأة في مدرسة بها بشر يتبادلون الكلمات لا اللكمات!!

ودخول (محمود) من باب حجرة المدير كان يعني في أحيان كثيرة أن الكلمات قد انتهت والقرارات قد بدأت: (قرار بالفصل لمدة أسبوع).

وليس هذا لأن مدير المدرسة رجل متجني ظالم لا يعرف الحوار ولا يعترف بالحقوق.. إطلاقاً.. فالسيد المدير شخصية معروفة بالتفاهم والإنصات للآخرين ورد الحقوق إلى أصحابها في حسم وقوة يزينها عدل ورحمة.

لكنه يعلم - مثلما يعلم الجميع - إن حالة (محمود) محكوم عليها منذ شهور ، حالة مل منها النقاش ونضب فيها بحر الحوار.

الفصل لمدة أسبوع .. مع استدعاء ولي الأمر "هذه الجملة سمعها (محمود) كثيراً .. كثيراً جداً.. حتى ملها ، وكأنه يريد أن تتطور الجملة لتصبح "سجنا لمدة أسبوع".

ولربما يتردد في أذهانكم أن (محمود) سيخرج من المدرسة يحمل عارا على رأسه لطرده من ذلك المكان المقدس ، الذي خرج العلماء والأدباء والمفكرين .. إلخ.

هذا ما يتردد في أذهانكم .. أنتم!

أما في ذهن (محمود) وأمام الشئلة الفاسدة .. هو يحمل نياشين النصر .. في معاركه وجولاته .

ولكن أي نصر .. وأي معركة؟! معركة الظهور .. الشهرة ولفت الأنظار . كل المدرسين يعلمون جيدا أن (محمود) مريض .. بمرض الظهور.

طالب ذكي .. ولكنه لا يحب التعليم ويجده ثقيلًا مملًا. ليس صوته عذبا كي يكون مطربا يصفق له الآلاف ويعشقه الملايين وليس ساحرا في لعب الكرة لينزع الآهات من قلوب الجماهير وليس ... وليس .. ولكنه .. وسيم .. قوي البنين نعمة أهداها الله إليه .. ما لبث أن حولها إلى حجر قذف بها كل من حوله من البشر .. ووضع له الشيطان الخطة .. الإيقاع بالفتيات.

في مجتمع ثانوي .. معرفة فتاة شيء له بريق خاص يضمن لك الظهور وسط أقرانك .. وسار (محمود) في الطريق .. ولم تكن فتاة واحدة بل اثنتان .. ثلاثة .. عشرة .. كل يوم فتاة جديدة.

وقصة جديدة .. ومشجرة جديدة. نعم .. مشاجرات لا حصر لها .. خاضها (محمود) مع آخرين .. بسبب أنه يعاكس فتاة على قارعة الطريق .. أو أنه يريد أن يظهر قدراته أمام فتاة بعينها.

وفي كل مرة .. كان محمود يشعر بالفخر والزهو والقوة . لم يشعر بالضعف أبدا أو الاستسلام .. أو العجز .. إلا .. في موقف واحد .. هزه من الداخل بقوة وبعنف ، يوم أوقفه (أحمد) وتسلسل إلى قلبه بكلمات قليلة .. وبسيطة .. ومؤثرة.

'يا محمود .. لم يخلقنا الله أقوياء لنظلم الآخرين .. لم يخلقنا الله في هيئة جميلة حتى ننصب شابكنا حول الفتيات .. ونستدرجهن ليصبحن فتيات لا حياء لهن ولا دين لم يجعل الله لنا عينين جميلتين حتى نشوهما بنظراتنا المحرمة التي تنتهك حرمتا غيرنا ونجلب بها غضب ربنا.

يا محمود .. النظرة سهم من سهام إبليس .. النظرة .. مجرد النظرة يا محمود'.

وكان (أحمد) يقول و(محمود) يسمع .. ويستمع ويتأثر و .. يبكي.

ومكث بعدها محمود في بيته ثلاثة أيام كاملة ، أعطى فيها محمود العالم كله هدنة من المشكلات والمغامرات !!.

كان (محمود) يراجع ما سمعه .. ويراجع نفسه ، وفي أول ظهور له .. قابله الشيطان والشيطان هذا الذي قابله ليس ذلك الشيطان الذي لعنه الله وطرده من رحمته ولكنه شيطان

يراه محمود وكل زملائه يمشي على الأرض أمامهم ويكلمهم وينفخ في أذانهم ووجوههم.. إنه (عادل).

والكل يعلم أنه يلزم (محمود) دائما. وهو نصفه الثاني ومساعدته في كل الممارك التي يخوضها.. بل ومشجعه عليها أيضا.. وبمجرد أن رآه سأله عن غيابه الثلاثة أيام السابقة.. وحكى له أن فلانة قد سألت عليه وفلاته قد أرسلت له معها خطابا.. و.

وتجمعت حوله (شلة) الفساد كاملة . وانهار (محمود) تماما ونسى كل ما قاله زميله (أحمد) بل نسي أحمد نفسه وظل (عادل) ينفخ في أذنه ويشعل فيه نيران شهواته.. ويؤقظ فيه أمراضه.. ثم لاحقه بأنه لديه مغامرة جديدة .. مع فتاة جديدة . فتاة رائعة .. لم ير مثله قط. رآها بالأمس عند خروجها من المدرسة التجارية . رمقها بنظراته .. فبادلته النظرات. فهمها وفهمته.. واتفقا على لقاء بينهما .. و..

أخذ يحكي .. ويحكي .. ويحكي

حتى أصر (محمود) أن يذهب معا ليرى هذه الفتاة ولم يتردد (عادل).. وفي اليوم التالي ذهب معا إلى المدرسة التجارية. ووسط مئات الطالبات المتدفقة كشلال من باب المدرسة أشار عادل لـ (محمود) إلى واحدة. .. كانت الصاعقة .. من بين المئات والمئات. اختار صديقه عادل فتاة يعرف محمود ملامحها جيدا. بل يعرف اسمها . وسنها وأبوها وأمها. (إنها.. سميرة) أخته !!

ودارت الدنيا (بمحمود) وأصبح وجهه كجمرة مشتعلة وتحولت يده إلى آتين من الصلب تطرقان على رأس (عادل) وسط صراخ الفتيات حتى أغشى عليه . ولم يهدأ (محمود) بل التقط حجرا وهوى به على رأس (عادل) أحدث فيه قطعا غائرا قبل أن يتدخل ثلاثة من الرجال لإيقافه وإنقاذ (عادل) من موت محقق.

ولم يشعر محمود بلذة الانتصار هذه المرة ولا في أي يوم بعدها .

لقد ظل محمود يشعر بالهزيمة والندم .. والمرارة .

مرارة.. الطريق الخطأ.
